العدد
37

مجلة كليّة الدعوة الإسلامية

مَجَلَّةٌ إسْلَامِيَّةٌ - ثَقافِيَّةٌ -جَامِعِةٌ- مُحَكَّمَةٌ
تصدر سنويًا عن كلية الدعوة الإسلامية

العدد
37

1445هـ 2023م

مجلة كليّة الدعوة الإسلامية

- دلالة التصريف أولى من دلالة التكرار في توجيه الآيات.
- لفظ الفرح في القرآن الكريم دلالاته وأسراره البلاغية.
- لباس المرأة المسلمة وضوابطه في الشريعة الإسلامية.
- الضوابط القانونية وأثرها في الالتزام باللباس الشرعي.
- ظاهرة عزوف الشباب عن ارتداء اللباس الشرعي.
- البعد المقاصدي للباس في الفقه المالكي.

1445هجرية الموافق 2023ميلادية

مجلة كليّة الدعوة الإسلامية

BULLETIN
OF THE FACULTY
OF
THE ESLAMIC CALL
Vol. thirty seven
2023

حداثة لباس المرأة وانعكاساته على هُوية المجتمع الإسلامي

د. فوزية محمد علي مراد
قسم الفلسفة والفكر الإسلامي - كلية الآداب
جامعة المرقب

الملخص

أعطى الإسلام للمرأة مكانة رفيعة ومرموقة، بعد أن كانت في الجاهلية مهانة لا شأن لها ولا قيمة ، نعم جاء الإسلام ليعطيها مكانة وشأنًا ويحفظ لها حقوقها وكرامتها، أمًّا وأختًا وبنتًا وزوجة.

وقد أثاب الله تعالى من يحسن تربيتها ويحافظ عليها، ووعده بأن تكون له سترًا من النار، ولكن للأسف الشديد نلاحظ عودة الجاهلية منذ ما يزيد من قرنين من الزمان، متخذة شكلًا آخر وصورة أخرى متجهة لتحريف مسار الآداب والأخلاق الإسلامية والتعاليم الربانية، داعية لهتك أعراض وحرمات المرأة وجرها لتغيير قيم دينها الحنيف، وهذه من المصائب والطوام الكبرى التي تهدم الدين وتطمس الهُوية الإسلامية، وهذا بالضبط ما تسعى لتناوله هذه الورقة الموسومة بـ«**حداثة لباس المرأة وانعكاساته على هُوية المجتمع الإسلامي**». محاولين الإجابة عن السؤال التالي: كيف تطور لباس المرأة المسلمة من الصبغة الإسلامية إلى الطابع الحداثي؟ وما آثار هذا التطور وانعكاساته على الهُوية الإسلامية؟ ويهدف هذا

البحث إلى توضيح كيفية تطور لباس المرأة المسلمة واتخاذه صبغة حداثية. وبيان آثار هذا التطور ونتائجه على الهُوية الإسلامية. متبعًا المنهج الوصفي التحليلي القائم على تحليل العلاقة بين متغيري الدراسة وهما: حداثة اللباس الشرعي، والهُوية الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: اللباس-الهُوية-المجتمع الإسلامي-الحداثة.

(**Abstract**)

Islam gave women a high and prestigious position. However, women was undergoing humiliation and worthless during the pre-Islamic era. Of course,Islam came to give her status and preserve her rights dignity as a mother، sister، daughter and wife.

Almighty has rewarded those who raise them well and preserve them. In addition, He promised man that she would be a shield for him from the fire. Unfortunately, however, we notice the return of Pre-Islamic era for more than two centuries ago. In another way، the course of Islamic ethics and morals and divine teachings are distorted. Where the call is made to violate the symptoms and sanctities of women and drag them to change the values of their true religion. This is considered one of the major calamities and catastrophes that destroy religion and obliterate the Islamic identity.

This is exactly what this paper seeks to address (the modernity of women's clothing and its implications for the identity of the Islamic community). We are trying to answer the following questions: How did the Muslim women's dress evolve from an Islamic character to a modern character? What are the effects of this development and took on a modern character. It also aims to show the effects of this development and its consequences on the Islamic identity. To conduct this, the analytical descriptive approach was adopted based on analyzing the relationship between the two

variables of the study, namely: the modernity of the legal dress، and the Islamic identity.

Key words: clothes-identity-Islamic society- modernity.

المقدمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعدُ،

فقد أعطى الإسلام للمرأة مكانة رفيعة ومرموقة، بعد أن كانت في الجاهلية مهانة لا شأن لها ولا قيمة ، نعم جاء الإسلام ليعطيها مكانة وشأنًا ويحفظ لها حقوقها وكرامتها، أمًّا وأختًا وبنتًا وزوجة.

وقد أثاب الله تعالى من يحسن تربيتها ويحافظ عليها، ووعده بأن تكون له سترًا من النار، ولكن للأسف الشديد نلاحظ عودة الجاهلية منذ ما يزيد من قرنين من الزمان، متخذة شكلًا آخر وصورة أخرى متجهة لتحريف مسار الآداب والأخلاق الإسلامية والتعاليم الربانية، داعية لهتك أعراض وحرمات المرأة وجرها إلى تغيير قيم دينها الحنيف، وهذه من المصائب والطوام الكبرى التي تهدم الدين وتطمس الهُوية الإسلامية، وهذا بالضبط ما تسعى لتناوله هذه الورقة الموسومة بـــ **«حداثة لباس المرأة وانعكاساته على هُوية المجتمع الإسلامي».**

إن لباس المرأة المسلمة قد طرأ عليه ما طرأ على باقي شؤون الحياة من تغييرات بفعل التطور والتقدم التكنولوجي، وتعد مسألة لباس المرأة أو حجابها من أهم المسائل التي تستحق البحث والتقصي؛ وذلك لأن الغرب يسعى إلى جعل المرأة "سلعة ومتعة كلصاقة الذباب، يضعون صورها في إعلانات السينما، وأدوات الزينة والتجميل، والعطور، وعلى أغلفة الكتب، والمجلات، ويوظفونها في مكاتب التجارة،

والسياحة، والفنادق؛ لتجذب لهم الزبائن كما تجذب اللصاقةُ الذباب؛ ولهذا يقال:"السفور مطية الفجور"[1].

يقول **غلادستون** رئيس وزراء إنكلترا المتعصب: "لا تقيم حالة الشرق ما لم يرفع الحجاب عن وجه المرأة، ويغطى به القرآن، وإتيان المسكرات والمخدرات، وإتيان الفواحش، والمنكرات؛ فتختل قوى الإسلام"[2].

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في الإجابة عن التساؤلات الآتية:

1-ما الضوابط والشروط المتعلقة باللّباس الشرعي للمرأة المسلمة؟

2-كيف تطور لباس المرأة المسلمة من الصبغة الإسلامية إلى الطابع الحداثي؟

3-ما آثار هذا التطور وانعكاساته على الهُوية الإسلامية؟

أهداف البحث:

تهدف هذه الورقة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1-إبراز الضوابط والشروط المتعلقة باللّباس الشرعي للمرأة المسلمة.

2-توضيح كيفية تطور لباس المرأة المسلمة واتخاذه صبغة حداثية.

3-بيان آثار هذا التطور ونتائجه على الهُوية الإسلامية.

أهمية البحث:

1-توضيح أن الشريعة الإسلامية الغراء صالحة لكل زمان ومكان، ولم ولن تنفصل عن واقع الحياة المعاش.

(1) الاستيعاب فيما قيل في الحجاب، فريح بن صالح البهلال، 12.

(2) المرأة ومكانتها في الإسلام، أحمد عبد العزيز الحصين، 9.

2-بيان ما يواجهه العالم الإسلامي من حملات تشويه تتعلق باللباس الشرعي للمرأة وغيرها من القضايا ذات الاهتمام.

3-ارتباط الأحكام المتعلقة باللباس الشرعي للمرأة بقضية في غاية الأهمية، ومطروحة بقوة في وقتنا الحالي ، وهي قضية الأمن المجتمعي.

منهج البحث:

اتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي القائم على تحليل العلاقة بين متغيري الدراسة وهما: حداثة اللباس الشرعي، والهُوية الإسلامية.

وقد قسم البحث على ثلاثة مطالب وخاتمة، كانت على النحو الآتي:

المطلب الأول- دلالات مفهومية لغويًا واصطلاحيًا:

الفرع الأول-الحداثة واللباس:

أولاً- الحداثة:

قد يكون من الصعوبة بمكان إيجاد تعريف جامع مانع لمفهوم "الحداثة"؛ إذ إن هذا المفهوم يندرج تحت قائمة المفاهيم الغامضة التي يصعب علينا تحديدها، ولعل غموضه راجع إلى تشعب هذا المفهوم واتساعه، مما أدى إلى تطور هذا الغموض ليتحول إلى إشكالية فكرية تتطلب منا البحث المتواصل للوصول إلى تعريف دقيق ومحدد له.

وإذا رجعنا إلى الأصل اللغوي لهذا المفهوم وجدنا أن الجذر اللغوي لهذا اللفظ هو "(حدث) الحَدِيثُ: نقيض القديم، والحدوث: نقيض القدم، حَدَثَ الشيءُ

يحدُثُ حُدوثًا وحَداثة"[1] ، وفي القاموس العربي: "نقيض قدم، وأحدث الشيء ابتدعه وأوجده، والحداثة سن الشباب، والحديث: الجديد"[2].

والمقصود من الحداثة في هذا البحث كل شيء مخالف لما هو قديم، أو هي إبداع شيء لم يكن موجودًا من ذي قبل، وهذا الإبداع هو عبارة عن تغير شامل لجوانب عديدة في حياة الإنسان: فكرية ،وعلمية ،ودينية ،وسياسية ،وأخلاقية واجتماعية.

ثانيًا- اللّباس:

اللباس زينة وستر، قال تعالى: ﴿ **يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ**﴾ [3] ، وقال أيضًا: ﴿**يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ**﴾ [4]. (والرِّيش: هو الجمال؛ أي: ما تتجملون به من الثياب)[5].

واللباس في اللغة: مشتق من الفعل" لبس...واللِّبس: ما يُلْبَس، وكذلك المَلْبَس. واللِّبسُ، بالكسر مثلُه... لَبِس الثوب يَلْبَسهُ لُبْسًا و ألْبَسه إياه"[6] .

(1) ابن منظور، لسان العرب، 2/ 131، (مادة حدث).

(2) الحداثة والحداثية: المفهوم والمصطلح، نايف العجلوني، 105.

(3) سورة الأعراف، الآية:31 ،32.

(4) سورة الأعراف، الآية: 26 .

(5) التمايز العادل بين الرجل والمرأة في الإسلام، محمد بن أحمد صالح الدوسري، 181.

(6) لسان العرب، لابن منظور،8/ 21 ، (مادة لبس).

أما في الاصطلاح فيطلق على "كل ما يصلح أن يلبسه الإنسان لستر عورته، أو وقاية من برد أو حر، أو أذى خارجي، أو للتزين، أو غير ذلك"[1] .

الفرع الثاني-الهُوية والمجتمع الإسلامي:

أولاً- الهَّوية:

يقصد بالهُوية "الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق"[2].

ويقول الفارابي إن "هُوية الشيء، وعينيته، وخصوصيته، ووجوده المنفرد له الذي لا يقع فيه اشتراك"[3].

ثانيًا-المجتمع الإسلامي:

هو "ذاك المجتمع الذي تميز عن المجتمعات الأخرى بنظمه الخاصة وقوانينه القرآنية، وأفراده الذين يشتركون في عقيدة واحدة، ويتوجهون إلى قبلة واحدة، ولهذا المجتمع -وإن تكوّن من أقوام متعددة وألسنة متباينة- خصائص مشتركة وأعراف عامة وعادات موحدة"[4] .

خلاصة القول: نظرًا لما للمصطلحات من أهمية بالغة، وذلك لما تمتلكه من محورية أو مركزية في بناء الإنسان والمجتمع، ونظرًا لهذه الأهمية فإننا سعينا في المبحث السابق لتحديد معاني المفاهيم المستخدمة في هذا البحث، وتوضيح دلالاتها المعرفية لكي يسهل لنا أمر توظيفها في هذا البحث، خاصة بعد الثورة المعلوماتية التي أزالت القيود عن المفاهيم، وأصبحت في متناول الجميع؛ مما سهل لهم أمر الوصول لجذورها المعرفية، كل هذا أحدث شرخًا وفوضى عارمة في البنية الابستمولوجية للمفاهيم.

(1) مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل الحسن الطبرسي، 507.

(2) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، 258.

(3) المعجم الفلسفي، جميل صليبيا، 530.

(4) المجتمع الإسلامي، محمد أمين المصري، 17.

وبعد هذا العرض ننتقل للحديث عن اللباس الشرعي للمرأة المسلمة، مبينين كيف تطور هذا اللباس ،واتخذ صبغة حداثية في وقتنا المعاصر.

المطلب الثاني- حداثة اللّباس الشرعي وأشكاله

لمعرفة كيف تطور اللباس الشرعي للمرأة المسلمة، وما المراحل التي مر بها، وما أسباب تطوره يجدر بنا أولا التعرف على شروط اللباس الشرعي للمرأة المسلمة وضوابطه كما يراه الدين الإسلامي.

الفرع الأول- شروط وضوابط اللّباس:

أباحث الشريعة الإسلامية الغراء لكلِّ من الرجل والمرأة التزين، ولا سيما في اللّباس، إلا إنها قد راعت في ذلك ألا تكون الإباحة على إطلاقها، وإنما قيدتها بقيود، منها: أن لباس المرأة فيه الزينة الخفية، بمعنى: أنها إذا تزينت تُخفي زينتها عن الرجال الأجانب، بعكس لباس الرجل، ففيه الزينة الظاهرة؛ فالشريعة الإسلامية قد راعت جوانب الاختلاف بين الرجل والمرأة، فجاء التكليف بما يتناسب مع كل منهما[1].

يقول القرطبي- رحمه الله- : "إنَّ المرأة مأمورةٌ بألا تُبدي، وأن تجتهد في الإخفاء لكلِّ ما هو زينة، ووقع الاستثناء فيما يظهر بحكم ضرورةِ حركةٍ فيما لا بّد منه، أو إصلاح شأنٍ، ونحو ذلك. فما ظهر على الوجه مما تؤدّي إليه الضرورةُ في النساء، فهو المعفوّ عنه"[2].

ومن ضمن الشروط والضوابط في اللباس الشرعي للمرأة المسلمة وفقًا للشريعة الإسلامية ما يأتي:

أ-عدم تشبه المرأة بالرجل في اللباس:

يجب على المرأة المسلمة ألا تلبس ملابس يرتديها الرجال، فتتشابه معهم في ذلك؛ فالرسول ﷺ قد لعن من تتشبه بالرجال قائلًا - «فيما رواه ابْن عباس رضي اللَّه

(1) التمايز العادل بين الرجل والمرأة، محمد بن أحمد صالح الدوسري، 182.

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، 15/ 213.

عنهما-: لعن رسول اللَّه ﷺ المتشبِّهين من الرِّجال بالنِّساء، والمتشبِّهات من النِّساء بالرِّجال"[1]. ورُوي أيضًا عَنَ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ:" لعن النبيُّ ﷺ المخنَّثين من الرِّجَالِ، والمُتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ، وقالَ: أَخْرِجُوهُمْ مِن بُيُوتِكُمُ، قَالَ: فَأَخْرَجَ النبيُّ ﷺ فُلَانًا ، وأَخْرَجَ عُمَرُ فُلَانًا "[2].

ويدخل في التشبه الحركة والكلام واللبس والمشية؛ وذلك لخروج كل ما سبق عن الفطرة السليمة، فلكل من الرجل والمرأة خصائص يتميز بها أحدهما عن الآخر، إذ إنه من" الغباء أن تسعى النساء إلى تقليد الرجال، كما أنه من الغباء أن يسعى الرجال إلى تقليد النساء"[3].

ب-عدم تشبه لباسها مع لباس الكفار وأصحاب البدع:

يجب على المرأة المسلمة ألا تتشبه في لباسها بالمرأة الكافرة من حيث: ارتداء الملابس المكشوفة، والقصيرة، وإبداء محاسن جسمها، أو تغيير ملامح وجهها، ووصل شعرها؛ فهذه الأمور تجعل منها كالنصرانيات واليهوديات؛ إذ التشبه بهؤلاء من الأشياء التي حرمها ديننا الإسلامي الحنيف.

لهذا أمرنا الرسول بمخالفة الكفار في كل ما يقومون به من أعمال وسلوكيات وعادات قائلًا: "من تشبَّهَ بقومٍ فَهوَ منْهم"[4]، وقال –أيضًا- واصفًا نساء آخر الزمان: "صِنْفَانِ من أهلِ النارِ لمْ أَرَهُما بَعْدُ : قومٌ مَعَهُمْ سِياطٌ كَأَذْنابِ البَقَرِ يَضْرِبُونَ الناسَ

(1) رواه البخاري في صحيحه، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، كتاب: اللّباس، باب: المتشبهون بالنساء والمتشبهات بالرجال، رقم الحديث: 5885، 3/ 117.

(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: اللّباس، باب: إخراج المتشبهون بالنساء من البيوت، رقم الحديث: 5886، 3/ 117.

(3) موسوعة المرأة المسلمة، صلاح عبد الغني محمد، 4/ 86.

(4) أخرجه أبي داوود في سننه، كتاب: اللّباس، باب في لبس الشهرة، رقم الحديث: 4031، 6/ 143.

بِها، ونِساءٌ كَاسِياتٌ عَارِياتٌ، مُمِيلاتٌ مائِلاتٌ، رُؤوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المائِلَةِ ، لا يَدْخُلَنَّ الجنةَ ، ولا يَجِدَنَّ رِيحَها ، وإِنَّ رِيحَها لَيوجَدُ من مَسِيرَةِ كذا وكذا"[1].

اللعن في الحديث يدل على أن "التشبه من الكبائر، والحكمة من التحريم أن المتشبه والمتشبهة كل منهما يخرج نفسه عن الفطرة والطبيعة التي وضعها أحكم الحكماء رب العالمين[2].

ج-ألا توجد باللباس بهرجة أو إثارة أو شهرة[3]:

يستحسن ألا يكون في ثياب المرأة فيها نوعٌ من الإثارة أو الشبهة، لما لذلك من إثارة نوع من المباهاة أو التفاخر ؛ مصداقًا لقول الرسول ﷺ: "مَنْ لَبِس ثُوبَ شُهرَةٍ في الدُّنْيا أَلبَسَهُ اللهُ ثوبًا مَثله- ثمّ تَلَهّبُ فيه النَّارُ "[4] .

د-أن يكون ساترًا لكل الجسم:

لا بّد أن يكون اللباس الشرعي "يغطي جميع الجسم، عدا ما استثناه القرآن الكريم فيما ظهر منه، وأرجح الأقوال أنه الوجه والكفّان؛فيجب أن يكون زي المرأة المسلمة ساترًا لكل محاسنها، بما في ذلك الشعر والرأس وأسفل العنق، وساترًا لكل جسمها ماعدا الوجه والكفين"[5].

هـ-ألا يشف ولا يصف ما تحته، وألا يكون ضيقًا:

يجب أن يكون لباس المرأة المسلمة فضفاضًا غير ضيق، ولا يصف شيئًا من جسدها ،ولا يحدد أجزاء الجسم ، أو يبرز مفاتنه؛ لأن انكشافها وسيلة إلى الرذائل

(1) رواه مسلم في صحيحه، كتاب: اللباس والزينة، باب: النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات، رقم الحديث: 2128 ، 14 /91 .

(2) الأزياء بين الضوابط والمقاصد في الشريعة الإسلامية، أحمد محمد عزب موسى، 3/ 185.

(3) **ثوب الشهرة**: هو كل لباس قصد به لابسه التميز عن عامة الناس في مجتمعه، وأصبح مشهورًا يشار إليه، سواء كان ذلك في لونه أو في شكله أو في نوعه أو في نفاسته أو خسته. ينظر الأزياء بين الضوابط والمقاصد في الشريعة الإسلامية، أحمد محمد عزب موسى، 3/ 186.

(4) أخرجه أبي داوود في سننه، كتاب: اللّباس، باب: في لبس الشهرة، رقم الحديث: 4029، 6/ 144.

(5) موسوعة المرأة المسلمة، صلاح عبد الغني محمد، 4/ 82.

والمنكرات؛ أي: أن ثيابهن لا تؤدي وظيفة الستر فتصف ما تحتها لرقتها وشفافيتها، ولفظ الكاسيات العاريات ينطبق على كل من تغطي جزءًا من جسمها وتكشف أجزاء أخرى، وكذلك كل من تلبس ملابس شفافة تكشف عمّا تحتها، وكل من تلبس ملابس ضيقة تحدد أجزاء الجسم تحتها، وكل أولئك لا يدخلن الجنة ولا يجدّن ريحها كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ" [1].

إذن هذه الحدود والشروط والضوابط التي وضعها الإسلام للباس المرأة المسلمة، ومن جمال الدين الإسلامي المرونة؛ إذ إنه لم يفرض على المرأة زيًّا محددًا، وإنما ترك لها حرية الاختيار في حدود تلك الشروط والضوابط.

الفرع الثاني- حداثة اللباس وتطوره:

بعد الثورة الصناعية التي حدثت في منتصف القرن الثامن عشر (1750م) طرأت تغيرات كبيرة في أشكال وألوان الملابس، نظرًا لإنتاج الماكنات السريع للأقمشة، ولتطور فن الصباغة والطباعة، ومع التطور والتقدم التكنولوجي المتسارع في شتى مجالات الحياة، لاسيما في الإذاعة والتلفزيون بما تعرضه من أزياء كانت سببًا قويًّا في انتشار الموضة، وأحدثت نقلة نوعية في حياة المرأة، وهذا بدوره قادها إلى التحرر في جميع مناحي الحياة؛ إذ إنها أصبحت كائنًا يمثل أكثر من نصف سكان المجتمع، إلا أن التحرر الذي نالته ليس سوى تحرر مظهري، والسؤال هنا: **هل هذا التطور أثر على اللباس الإسلامي للمرأة؟ وإن كان كذلك فما الآثار التي أحدثها على هُوية المجتمع الإسلامي؟**

وبما أن من طبيعة المرأة الميل دائمًا إلى التقليد لجذب الانتباه وإثارة الإعجاب، وكأنه ميل فطري لاتباع ما يسمى بالموضة وطاعتها طاعة عمياء لكي لا تشعر بأنها ناقصة أو متخلفة مقارنة مع غيرها، فإن لباس المرأة المسلمة بدأ يتغير شيئًا فشيئًا لدرجة أننا لا نكاد نميز المرأة العربية المسلمة من المرأة الغربية غير

(1) موسوعة المرأة المسلمة، صلاح عبد الغني محمد، 4/ 83.

المسلمة، وهذا بالضبط ما أراده الغرب؛أي: النيل من الدين الإسلامي، وطمس الهُوية الإسلامية للعرب والمسلمين؛ فقد سعوا ودعوا إلى إزالة الحجاب، وعرضوا أزياء تتخذ في الظاهر صفة الحجاب إلا أن في باطنها دعوة صريحة للتخلي عنه، وذلك بإفساد ضوابط وصفات وشروط هذا اللباس، وقد وصل الأمر من تطويرهم للباس الشرعي أن أصبح اللباس يكشف مفاتن الجسم ويصفها، وغيروا في ألوانه وأشكاله؛ فأصبحنا نرى الحجاب القصير الذي يكشف الساقين ويبرز مفاتنهن، وهذا ما دعا لانتشار التصاميم والأزياء الغربية في الأسواق العربية، فأصبحت المسلمات يقلدن الغربيات في لباسهن، والذي يتناقض تمامًا مع اللّباس الإسلامي الذي يحافظ على عفة المرأة المسلمة وحيائها.

صفوة القول: "إن رفع الحجاب، والاختلاط؛ كلاهما أمنية تتمناها أوروبا من قديم الزمان لغاية في النفس، يدركها كل من وقف على مقاصد أوروبا تجاه العالم الإسلامي"[1] .

المطلب الثالث- آثار حداثة اللباس وانعكاساته على هُوية المجتمع الإسلامي:

1-الآثار الاجتماعية:

يعد اللباس منذ القدم ذا دِلالة على الوضع الاجتماعي للفرد داخل مجتمعه، وهو يختلف من مهنة لأخرى، ومن مناسبة لمناسبة؛ فاللباس يعطينا انطباعًا عن الإنسان ومكانته الاجتماعية ووضعه الاقتصادي ودينه الذي ينتمي إليه.

ويعد لباس المرأة المسلمة (**الحجاب**) بشكل خاص أحد الرموز الدالة على هَوية الأمة الإسلامية وكينونتها؛ وعلى الرغم من تغير أشكاله وألوانه فإنه لا يزال يحتفظ باسمه، والسؤال المطروح: **هل التغير في شكل الحجاب يجرده من وظيفته التمثيلية للهُوية الإسلامية؟**

إن تطور لباس المرأة المسلمة مع التقدم والتطور التكنولوجي -كما مر بنا- كانت له أبعاد وآثار اجتماعية على المجتمع الإسلامي؛ فالمرأة في العهد الأول للإسلام

(1) المرأة ومكانتها في الإسلام، أحمد عبد العزيز الحصين، 186.

كانت تحترم المجتمع، وتتقيد بجميع ضوابطه وأحكامه وشرائعه الإسلامية، متماشية مع عاداته وتقاليده وأعرافه. أما اليوم فمع الأسف الشديد، كسرت قيود هذه الضوابط والأحكام، متناسية أنها داخل مجتمع إسلامي، وهذا بدوره أثر على الوضع الاجتماعي للمجتمع، فاهتزت الضوابط والأحكام الاجتماعية، وانتشرت الفوضى والرذيلة والفساد، وكثرت الظواهر والمشكلات الاجتماعية بالمجتمع، كانتشار ظاهرة تأخر سن الزواج، وظاهرة العزوف عن الزواج لدى الشباب، وظاهرة الطلاق أكثر من الزواج، وغيرها، يقول الدكتور خالد العك واصفًا وضع المرأة المسلمة في وقتنا الحالي: "وإذا نهيت الواحدة منهن عما هي عليه من هيأة قالت مستنكرة: أليس الحجاب أن ترتدي ثوبًا طويلًا وبأكمام طويلة مع تغطيه الرأس بأي غطاء"[1].

خلاصة القول: على المرأة المسلمة أن تراعي الضوابط والأحكام الشرعية المتعلقة بلباسها، وكذلك العادات والتقاليد والأعراف التي يتقيد بها مجتمعها؛ وذلك لما له من تأثير قوي وعميق على هُوية المجتمع الإسلامي وكينونته.

2-الآثار النفسية:

إنّ انتشار ظاهرة تأخر سنّ الزواج بالمجتمعات العربية بشكل عام والمجتمع الليبي بشكل خاص ؛ ترتب عليه شعور المرأة بالنقص داخل أسرتها بالدرجة الأولى، والمجتمع بالدرجة الثانية، لهذا لجأت إلى طرق وأساليب مخالفة لدينها الإسلامي، رغبة منها في الزواج والحصول على شريك قبل أن تتجاوز سن الزواج، ومن هذه الأساليب: التزين والتجمل لتغيير مظهرها، ولجذب الانتباه، وإثارة الإعجاب؛ يقول الحسيني معدي: إن "الفتيات اللواتي يعانين رفضًا والديًّا يشعرن بالقصور، فتبدأ الفتاة في البحث عن البديل، يعيد ما ضاع في البيت من حب وتقدير واحترام لقيمة الذات"[2].

(1) شخصية المرأة المسلمة في ضوء القرآن والسنة، خالد عبد الرحمن العك، 339.

(2) التربية الجنسية في مختلف المراحل التعليمية، الحسيني الحسيني معدي، 33.

ويرجع بعض الباحثين تعلق المرأة باللباس العصري إلى حرصها على أنها على قدم المساواة مع الرجل في كل شيء، حتى وإن اضطرها الأمر لارتداء ملابس تشبه الرجال، لتثبت فعاليتها في الحياة الاجتماعية، فـ"النساء ينزعن إلى التدليل على مساواتهن بالرجال؛ وذلك بتبني ملابس الرجال وعاداتهم وأساليبهم السلوكية"[1].

وبناء على ما سبق يمكن القول بأن حداثة اللباس وتطوره له آثار ومنعكسات نفسية على المرأة أولًا، وعلى هُوية المجتمع الإسلامي ثانيًا، فهو يؤدي إلى تآكل أسس هذا المجتمع وأركانه؛ إذ إن هذا "التزين وهذا التبرج الذي فشا في المجتمع يحرك العواطف، ويوقظ الكوامن، ويجعل الإنسان عبدًا ذليلًا لهواه"[2].

3-الآثار الأخلاقية:

تتميز المجتمعات العربية عن المجتمعات الغربية بمحافظتها على العادات والتقاليد والقيم والمبادئ المستمدة من الدين الإسلامي؛ إلا أنه مع غزو التكنولوجيا للمجتمعات العربية عبر قنوات ووسائل عديدة سيطرت على عقول الشباب والمراهقين، وقادت لتغير هذه القيم والمبادئ التي تربوا عليها منذ أمد بعيد.

ومن تبعات هذا التطور اتباع المرأة العربية المرأة الغربية في لباسها، مخالفة بذلك الأخلاق الإسلامية وما تنص عليه من أحكام بالخصوص كما سبق وأشرنا؛ فلبست الأثواب الغربية بألوانها الجذابة والمتعددة، الضيقة والشفافة التي تصف جسدها وترسمه، مع السراويل (الجينز) باختلاف أشكالها وألوانها، مرتدية وشاحات مزركشة على رأسها، مكشوفًا شعرها، مخالفة بذلك اللباس الشرعي للمرأة المسلمة، وهناك من ترتدي البنطلون ثم «تغطي رأسها بغطاء قصير(إيشارب) أو بطاقية مزخرفة وإيشارب مزين بالأشرطة الملونة، وهو بذلك يبتعد عن المعنى الصحيح للحجاب"[3].

(1) التغير الاجتماعي وحركات الموضة، حاتم الكعبي، 216.

(2) موسوعة المرأة المسلمة، صلاح عبد الغني محمد، 4/ 6.

(3) شخصية المرأة المسلمة في ضوء القرآن والسنة، خالد عبد الرحمن العك، 339.

إن ما يبعث الحزن والأسي في النفس أن هناك بعض النساء حاولن عصرنة اللباس الشرعي، وذلك بإضافة بعض الأشياء الغربية عليه، كإضافة الخرز الملون، أو إضافة الخمار إلى زي تصميمه غربي، وكل ذلك من أجل أن يتماشى مع الجديد والعصري، وقد أثر هذا اللباس وتغيره على أخلاق المرأة المسلمة، وأثر في تغير القيم الأخلاقية لديها، مما انعكس سلبًا على هُوية المجتمع الإسلامي.

5-الآثار الاقتصادية:

تسعى المرأة إلى مواكبة الموضة وتتبعها في كل تفاصيلها الدقيقة، فتتجمل وتتزين وتحرص دائمًا على الظهور في أبهى وأحسن صورة، وذلك لجذب الانتباه وإثارة الإعجاب والتميز بين صديقاتها ومعارفها؛ ولهذا نجدها بعكس الرجل تميل إلى صرف كامل مرتبها من أجل اقتناء كل ما هو جديد؛ بل في بعض الأحيان تضطر لاستقراض النقود في سبيل تغيير مظهرها، أو تتنازل عما تأكله لتشتري به ملابس فاخرة وأدوات زينة تتجمل بها على حساب أشياء ضرورية في حياتها.

وهذا له منعكسات وآثار سلبية على المجتمع الإسلامي، فقد تجاوزت المرأة المسلمة حد الاعتدال في الملبس، فديننا الحنيف يأمرنا بعدم الإسراف قائلًا: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾[1]. وهو كذلك لا يرضى للمرأة المسلمة أن تتزين وتتجمل خارج بيتها ؛ لأن ذلك سيؤدي إلى انتشار الفساد والرذيلة، وديننا الإسلامي الحنيف أحل للمرأة استعمال الزينة بجميع أشكالها وألوانها حتى تشبع الرغبة الجمالية لديها.

وصفوة القول: تعرفنا فيما سبق على أهم المنعكسات التي نتجت عن تطور اللباس الشرعي للمرأة المسلمة مما أثر سلبًا على انحلال الأخلاق والقيم الإسلامية داخل المجتمع، وتدني الأوضاع الاقتصادية والدينية للمجتمع الإسلامي.

(1) سورة الأعراف، الآية:31.

ب-اللباس وهُوية المجتمع الإسلامي:

يعد اللباس امتدادًا للشعور بالهُوية ومنظمًا للحياة العلائقية؛ فمن لباس الفرد نستطيع معرفته؛ لأنه يعبر عن ذاته وهَويته؛ ولباس المرأة المسلمة (الحجاب) يدل دلالة قوية على هُوية الدين الإسلامي، وعلى الرغم من تطوره وتغيره فإنه لا يزال يحتفظ باسمه، **فهل تغير شكله يجرده من وظيفته التمثيلية للهُوية الإسلامية؟**

تضاربت آراء الباحثين والمفكرين حول علاقة الحجاب بالهُوية وارتباطها به، وقد نتج عن هذا التضارب والاختلاف تياران يمكن عرضها على النحو الآتي:

1-التيار الأول:

يرى أن تغير شكل الحجاب لا يفقده قيمته وأصالته؛ بل يرى أن تغير شكله من ضرورات العصر، وذلك لمواكبة التطور والتقدم التكنولوجي، فعلى المرأة المسلمة اتباع كل جديد يتعلق باللّباس مع المحافظة على أسس اللباس وضوابطه ، لا اتباع "منطق التقليد الأعمى للماضين؛ لأن ذلك ينتج هوية خاوية، أو كاريكاتورية أو عدوانية، ولا اتباع منطق التقليد الساذج للمحدثين؛ لأن ذلك ينتج حداثة فقيرة، هامشية ممسوخة"[1].

2- التيار الثاني:

يرى أن أي تغيير يحصل في الحجاب يفقده قيمته، وذلك استنادًا للعلاقة التناقضية بين مفهومي الموضة والحجاب؛ فالأولى تدعو إلى التغيير والتجديد المستمر، في حين الثانية مرتبطة بمرجعية إسلامية؛ لذلك فأي تغيير يحصل فيه يؤدي إلى تغيير في قيمة وأصالة الحجاب.

لقد أصبح الحجاب عبارة عن "خمار محرف وسروال جينز، فالرأس مسلم مشوه، والجسد ضائع بلا هُوية"[2].

(1) تواطؤ الأضداد، الآلهة الجدد وخراب العالم، علي حرب، 259.

(2)، قضايا المرأة في زمن العولمة، ليلى محمد بلخير، 61.

وبين هذين التيارين لنا عودة لتاريخ الأديان السماوية لاستقراء الآراء فيها، لنجد أن جميع الأديان تدعو إلى الاحتشام والتستر، فالدين النصراني نجد فيه الراهبات تلبس لباسًا محتشمًا خاليًا من الزينة لا يجذب الآخرين، والدين الإسلامي يرفض اللباس المثير للأنظار؛ لأنه لا يتناسب وثقافتنا الإسلامية ولا عاداتنا وتقاليدنا التي تربينا عليها، وهذا كما أشرنا من قبل دعوة الغرب للنيل من هُوية المجتمع الإسلامي، بالطعن في الحجاب الشرعي للمرأة المسلمة، والدعوة الصريحة لخلعه، إلا أن المقاصد الحقيقية للحجاب ليست "التضييق على المرأة بسلب حق من حقوقها؛وإنما القصد حفظ كرامتها ممن لا يعرفون للفضيلة قيمة ، ولا للشرف وزنًا، وليكون المجتمع قائمًا على الحشمة والوقار"[1].

خلاصة القول: إن تفضيل المرأة المسلمة للباس الغربي الذي يفتقد للاحتشام ويبرز ويصف مفاتن جسمها فيه دعوة صريحة للتبرج والسفور؛ فالمجتمعات الغربية "يتفننون في أساليب إظهار مفاتن المرأة وزينتها، وينسبون ذلك إلى المدنية والحضارة، ويؤكدون على مسيحتيهم، مع العلم أن دعاوي التعري وسواها أشاعت أو أسهمت في إشاعة جو من الفلتان الاجتماعي، وتدهور الأخلاق"[2] .

الخاتمة

الحمد لله الذي منّ عليّ بإتمام هذا البحث الذي عرض موضوعًا مهمًّا في الدين الإسلامي، ألا وهو موضوع **حداثة لباس المرأة وانعكاساته على هُوية المجتمع الإسلامي.**

أولاً - النتائج:

توصلت في هذا البحث إلى بعض النتائج، والتي أدعو الله العزيز الحكيم أن تنفع الباحثين والمهتمين بالفكر الإسلامي، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها ما يأتي:

(1) موسوعة المرأة المسلمة، صلاح عبد الغني محمد، 4/ 6.

(2) المرأة في التاريخ والشريعة، أحمد السحمراني، 196.

1- أنّ الشريعة الإسلامية قد أباحت لكلٍّ من الرجل والمرأة التزين، ولا سيما في اللباس، ولكن راعت في ذلك ألا تكون الإباحة على إطلاقها، وإنما قيدتها بقيود، منها: أن يكون واسعًا غير ضيق ؛ حتى لا يصف جسد المرأة، وألا تكون الملابس زينة في نفسها، أو يكون مطيبًا، وألا يشبه ملابس الرجال، أو ملابس الكافرات، وألا يكون لباس شهرة، وقد راعت الشريعة الإسلامية جوانب الاختلاف بين الرجل والمرأة ، فجاء التكليف بما يتناسب مع كل منهما.

2- تغير لباس المرأة المسلمة شيئًا فشيئًا لدرجة أننا لا نكاد نميز بين المرأة العربية والمرأة الغربية؛ وذلك لاتباع المرأة المسلمة الموضة ، وتعلق قلبها بكل جديد فيها، وهذا بالضبط ما أراده الغرب؛ وهو النيل من الدين الإسلامي، وطمس الهُوية الإسلامية للعرب والمسلمين، وهو أسلوب خبيث لإفساد المرأة يقوم في أساسه على التدرج، والتخطيط على المدى البعيد من الزمن، وهو يرتكز على إزالة حياء المرأة وتنفيرها من دينها.

3- أن تطور لباس المرأة المسلمة له أبعاد وآثار اجتماعية أثرت على هُوية المجتمع الإسلامي، فقد اهتزت الضوابط والأحكام الاجتماعية ،وانتشرت الفوضى والرذيلة والفساد، وكثرت الظواهر والمشكلات الاجتماعية بالمجتمع، كانتشار ظاهرة تأخر سن الزواج، وظاهرة العزوف عن الزواج لدى الشباب، وظاهرة الطلاق أكثر من الزواج، وغيرها .

4- تسعى المرأة إلى مواكبة الموضة وتتبعها في كل تفاصيلها الدقيقة، وهذا ما يجعلها تصرف كامل مرتبها من أجل اقتناء كل ما هو جديد؛ بل في بعض الأحيان تضطر لاستقراض النقود في سبيل تغيير مظهرها، متجاوزة بذلك حد الاعتدال في الملبس، وديننا الحنيف يأمرنا بعدم الإسراف قائلًا: ﴿**وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ**﴾[1] .

(1) سورة الأعراف، الآية:31.

ثانيًا- التوصيات:

ترى الباحثة أنه يتعين علينا أن نولي اهتمامًا كبيرًا بقضايا المرأة، لهذا نوصي ونقترح الآتي:

1-التركيز على الجانب الإعلامي في مجال قضايا المرأة؛ لنشر الوعي في هذا المجال، من قبل متخصصين، عبر المحطات الإذاعية: المرئية والمسموعة، وعن طريق الصحف والمجلات المتخصصة في ذلك.

2- إنشاء جمعيات نسائية إسلامية متخصصة لنشر الوعي في شتى مجالات الحياة.

3-إدراج الموضوعات المتعلقة بقضايا المرأة ضمن المقررات والمناهج الدراسية داخل الكليات لنشر ثقافة الوعي بنوايا الغرب للطالبات بالمراحل الجامعية.

4- تصميم مواقع إلكترونية وإعداد كتيبات تختص بنشر قضايا المرأة من المنظور الإسلامي.

أسال اللهَ أن تكون هذه الورقة خالصة لوجهه، مصيبة لشرعه، نافعة لي ولمن بلّغها من المسلمين، إنه سميع الدعاء

==========

قائمة المصادر والمراجع

أولاً- كتاب الله (القرآن الكريم) برواية حفص عن عاصم.

ثانيًا- المصادر والمراجع:

1-الأزياء بين الضوابط والمقاصد في الشريعة الإسلامية، أحمد محمد عزب موسى، المجلد:3، العدد:34، حولية كلية الدراسات الإسلامية، الإسكندرية.

2-الاستيعاب فيما قيل في الحجاب، فريح بن صالح البهلال، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة:1، 1433.

3-التربية الجنسية في مختلف المراحل التعليمية، الحسيني الحسيني معدي، دار العلم، مصر، الطبعة: 1، 2005.

4-التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتاب المصري-دار الكتاب اللبناني، القاهرة-بيروت، الطبعة:1، 1991.

5-التغير الاجتماعي وحركات الموضة، حاتم الكعبي، دار الحداثة، بيروت، الطبعة:1، 1972.

6-التمايز العادل بين الرجل والمرأة في الإسلام، محمد بن أحمد صالح الدوسري، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة:1، 1431.

7-تواطؤ الأضداد، الآلهة الجدد وخراب العالم، علي حرب، الدار العربية للعلوم، لبنان، الطبعة:1، 2008.

8-الجامع لأحكام القرآن، أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، الجزء:16، مؤسسة الرسالة، لبنان، الطبعة:1، 2006.

9-الحداثة والحداثية: المفهوم والمصطلح، نايف العجلوني، مجلة أبحاث اليرموك، العدد: 2، المجلد: 14، 1996.

10-سنن أبي داوود، الغمام الحافظ أبي داوود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قره بللي، الجزء:6، دار الرسالة العالمية، دمشق، الطبعة: بدون، 2009.

11 -شخصية المرأة المسلمة في ضوء القرآن والسنة، خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، بيروت، الطبعة: 2، 1999.

12-صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، تحقيق: أبو عبد الله-محمود بن الجميل، الجزء:1، مكتبة الصفا، القاهرة، الطبعة: 1، 2003.

13- صحيح مسلم، محيي الدين أبو زكريا يحي بن شرف النووي، أخرجه: محمد بن عيادي بن حليم، الجزء:14، مكتبة الصفا، القاهرة، الطبعة:1، 2003.

14-قضايا المرأة في زمن العولمة، ليلى محمد بلخير، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة:1، 2006.

15-لسان العرب، ابن منظور، المجلد الثاني-الثامن، دار صادر، بيروت، الطبعة:1، 1990.

16-المجتمع الإسلامي، محمد أمين المصري، دار الأرقم، الكويت، الطبعة:1، 1980.

17-مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل الحسن الطبرسي، تحقيق: حسام الرسولي المحللاتي، الجزء:3، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة:1، 1992.

18-المرأة ومكانتها في الإسلام، أحمد عبد العزيز الحصين، مكتبة الإيمان، القاهرة، الطبعة:2، 1981.

19-المرأة في التاريخ والشريعة، أحمد السحمراني، دار النفائس، بيروت، الطبعة: 1، 1989.

20-المعجم الفلسفي، جميل صليبا، الجزء:2، الطبعة: بدون، دار الكتاب اللبناني، 1982.

21-موسوعة المرأة المسلمة، صلاح عبد الغني محمد، الجزء: 4، مكتبة الدراسات العربية للكتاب، مصر، الطبعة: 1، 1998.